

الإفراز والتمييز

من رسائل القديس

الأب صفرونيوس القصيرة

صفرونيوس

الإفراز والتمييز

أمانة التعليم:

١- صفرونيوس يسألكم أن تراجعوا هذه الأقوال على تعاليم الآباء الشيوخ الذين لا زالوا عندنا. لأن في ذلك يَعُم السلام وننال رحمةً من الرب إن كنا أمنـــاء في التعليم، ولا نغشُّ كلمة الله، فالسلام يملأ الأديرة وتحلُّ بركات المحبة ويصبح الاتفـــاق مثل أنغامٍ سماويةٍ نسمعها في كل مكان.

أمَّا الكلام المغشوش الذي يؤدِّي إلى الفُرقةِ والاقتتال، فهو الذي يخلق الظنون ويصبح مثل رياحٍ وعواصفَ ترابيةٍ تخنق الوحدة.

عطية الله:

٢- الإفراز والتمييز هو عطية الله الفائقة التي يهبها للأمناء في حياتهم. تأمَّلوا أن الذين يعملون في صناعةٍ ما، لا يتقنون هذه الصناعة إلاَّ بعد عدة سنوات، والرَّبَّان لا يتعلم الملاحةَ بمجرد أن يُمسكَ بالدفةِ، هكذا أمور الملكوت لا يصل الإنسانُ إليهـــا إلاَّ إذا كان أميناً لله.

٣- المُنغلبُ من شهوات قلبه، ويفرِّط بلسانه ويخدع الناس، لا يقتني الإفراز -ولو وضعوه له في كوبٍ وصبُّوه في فمه- لأن روح الحكمة لا يحل حيث الخـــداع والغش.

الإفراز والتمييز:

٤- الإفرازُ ليس هو التمييز بين الخيرِ والشَّرِّ. ومع أن الآباء جميعاً قالوا إن هذه هي أول درجات سُلَّم الإفراز، **وإنما الإفراز هو التمييز بين درجات الخير واقتناء ما يَصلُح منها للإنسان**.

الإفراز هو السير بترتيبٍ وعدم انزعاجٍ في طريق التوبة. وإذا كان الإنسانُ يعلم ما هو الطعام الذي يحتاجه وتقوى عليه طبيعته ولا يضره، هكذا الأمور السماوية، يأخذها الذي أتقن الإفراز بترتيب، ويصبح هذا الترتيب هو الإفراز الذي تتعلمه النفس.

٥- ب**دايةُ الإفراز جحدُ الذات**. واعلم أن كل ما يؤول إلى جحد الذات هو صالحٌ ونافعٌ لها، وبمواصلة إدراك جحد الذات ترى أنها بدأت تُتقن التمييز بين النافع والصالح والشر.

الحياة الداخلية:

٦- مَن لا يتعلم من حياته الداخلية، لا يمكن أن يتعلم عِلماً حقيقياً من الشيوخ. والذي لا يتعلم أن يتعقَّب أهواء قلبه لا يمكنه أن يُتقنَ شيئاً ولو قرأ كل كتب البيعة، وكل ما تركه الآباء.

٧- راقبتُ أحدَ الأخوةِ المبتدئين ووجدتُ أنه يُكثِر من الصمت، ولا يحب الجدال ويبتعد عنه، ولَّما سألته عن السبب، علِمتُ أنه كان غضوباً سريع التأثُّر بكل ما يقال له، وأنه أدرك أن الصمتَ شفاءٌ لعقله وإرادته، وأن الابتعاد عن الجدل هو احتراسٌ.

هذا إفرازٌ ظاهرٌ يكمُل بالمحبة، ويثمر ثمراً حقيقياً بالمثابرة. أمَّا إذا انتكس، فهو يفقد كل ما تعلَّمه، وقد يؤدِّي سقوطه إلى عدم الاتزان.

٨- إن الله صالحٌ والذين يبتغون رضاه يجدون ينبوعَ إفرازٍ عنده. لأن قلبَ ما يُرضي الله، هو ما يجعل في قلبه عطشاً حقيقياً للحكمة. هؤلاء ينالون الوعد الإلهي: "طوبى للجياع والعطاش إلى البر لأنهم يُشبَعون" (مت ٥: ٦)، أي من فيض الحكمة الإلهية الذي يقودهم إلى الإفراز.

الخوف والحَذَر:

٩- الحَذَرُ من السقوط لا يُعَلِّم الإنسان الإفراز. ولا حتى الخوف من السقوط الذي يؤدِّي بالمبتدئين إلى السجس (الوسوسة)، فالذي لا يعلم إن كان قد أخطأ أم لا، هو مثل مَن يرمي السهام بعينين مغلقتين، فهو لا يصيب شيئا، وقد يجرح نفسه في النهاية.

١٠- لا الخوف ولا الحَذَر يجعلان الإنسان يقتني حكمةً حقيقيةً، وإنما تعلُّقُ النية الداخلية ورغبتها في الله هو الذي يجعلها ترى الأمور السطحية الفارغة التي بلا قيمة، فترفضها، وفي هذا الرفض يكون الإفراز.

طريق الملك:

١١- طريقُ الملكِ وموكبِهِ معروفٌ، لا يمكن أن يضلَّ إنسانٌ في التعرُّفِ عليه، حتى وإن كان أعمى لا يُبصر، فهو يُدرِك من أصوات المارّةِ أن الملكَ يسير.

وطريقُ الملك المسيح هو الصليب، وهو بداية الإفراز الحقيقي، ومَن لا يسير فيه، فقد اقتنى حكمةً فاسدةً غيرَ راسخةٍ في شيء، وعلينا أن نكتفي بشهادة الذين سبقونا.

١٢- لا يحيا الإنسانُ بالنومِ وحدَه، ولا بالعمل وحدَه، ولا بالطعام وحدَه، وإنما يمزج بين كل هذه على قدر احتياجه. فأحياناً يحتاج إلى النوم أكثر من حاجته إلى الطعام، أو العكس.

فإذا كان الذي يحيا حسب ناموس الطبيعة، يعرفُ احتياجاته ولا يفرِّط فيها، هكذا يعرف الذين يَحيون حسب وصايا المسيح، ما هي احتياجاتهم الضرورية، ويميِّزون بين ما هو أساسي وما هو زائد بلا حتمية؛ لذلك علينا أن نفهم شريعة الحياة؛ لأنها هي التي ترد لنا الإفراز.

علامة اقتناء الإفراز:

١٣- الصليب والتنازل عن الأهواء علامةٌ حقيقيةٌ على اقتناء الإفراز. أمَّا الذين يعيشون برخاوةٍ وكسلٍ، فهؤلاء لا رجاء لهم بالمرة في اقتناء أي شيء.

١٤- الذي يُفسد الشركة ويزرع الخصام هو مبتدئ، ولو كان شعرُ رأسِه قد تساقط من الكِبَرِ. أمَّا الذي يزرع السلام والوئام بين الأخوة، فهو صاحبُ إفرازٍ حقيقي، ولو كان من العلمانيين.

الإفراز والمغفرة

١٥- الذي لا يغفر خطايا المسيئين وهفواتهم، لا يعرف الله، ولو كان من أصحاب درجات الكهنوت. مثل هذا لا مكان له في ملكوت ربنا يسوع، ومن الخطورة أن يعلِّم في البيعة.

أمَّا أصحاب الإفراز، ولو كانوا من الصيارفة، فهم أصحابُ مغفرةٍ، يعفون عن المسيئين.

راقب مَن يغفر، وأنت تعلم أنه أدرك الإفراز.

١٦– الذي يمنع الصدقةَ عن الفقير، ويقبض يده عن العطاء، لا يمكنه أن يكون تلميذاً للرب الذي قدَّم ذاته، فلا تسمع له إذا شرح لك التعليم، ولا تعِشِ معه بالجملة لئلا تدخل قساوةُ القلبِ إلى قلبك، وتعدمك المعرفة الصحيحة وتصير جاهلاً. وعن هؤلاء جميعاً قال الرسول: "المعاشرة الردية تُفسد الأخلاق الجيدة" (راجع ١ كور ١٥: ٣٣).

١٧– الجلوس في القلاية لا يعطيك الإفراز، إلاَّ إذا لَازَمَه تفتيشُ النية الداخلية. وأيضاً، الصمتُ باللسان أو بالقلب لا يقدِّمك إلى الله إذا صار غايةً.

بالإفراز نعلم أن كلَّ ما تقوم به النفس هو عملٌ يساعدها على الهدوء والبقاء في حضرة الله، ولكنه لا يقدِّم النفسَ إلى الله، إنما الذي يقدِّم الله إلينا هو تواضعه الفائق ورحمته غير المحدودة التي شملت الصديقين والخطاة.

فتأمَّل كيف أنه رَحَم الصديقين والخطاة، وأعطى فَعَلَة الساعة الحادية عشر ذات الأجرة التي أخذها الذين بدأوا في أول النهار، وهذه الأجرة ليست سوى الملكوت الذي يشاء أن يعطيه للذين تابوا من الزناة والقتلة والمجدِّفين.

١٨– لقد تعلَّمنا من الآباء الذين سبقونا أن كل معرفةٍ تؤدِّي إلى الحرص على المُتَعِ الجسديةِ والمنافع الوقتية هي معرفةٌ مزيَّفةٌ، ولو كانت مزينةً بالأقوال الإلهية. وكل الذين يشرحون أسرار الملكوت، دون أن يؤكِّدوا نعمة الله في ربنا يسوع المسيح هم تلاميذ اليهود وليسوا سوى قبورٍ مبيَّضَةٍ من الخارج، أي بأعمال الناموس، ومن الداخل مملوءةً بالموت والنجاسة؛ لأنها لم تتطهر بسكنى روح الحياة.

١٩– الذين يَعِظون في المجامع أو الأديرة، ولا يضعون معرفتهم على أساس التسليم الرسولي، وإنما يفصِّلون كلمة الحق لأجل ضلال السامعين، هؤلاء لا يمكنهم

البقاء على كرسي التعليم طويلاً؛ لأن البحث عن منافع الناس يقود دائماً إلى تذبذُب المعلِّمين، ولذلك علينا أن نهرب من هؤلاء ونُقبِل إلى كلمات ربنا يسوع المسيح.

٢٠– كلُّ تعليمٍ لا يضع قانون الإيمان أساساً –حتى لصوم الأربعاء والجمعة– هو تعليمٌ بعيدٌ عن ينبوع الحياة، أي الإيمان المقدَّس، ولا يقدِّم لنا سوى موت الإنسان وهرطقة الخارجين، أمَّا الذين يسلكون حسب هذا الطريق، عليهم رحمة الله ونعمة.

صفرونيوس خادم الله يسأل صلواتكم.